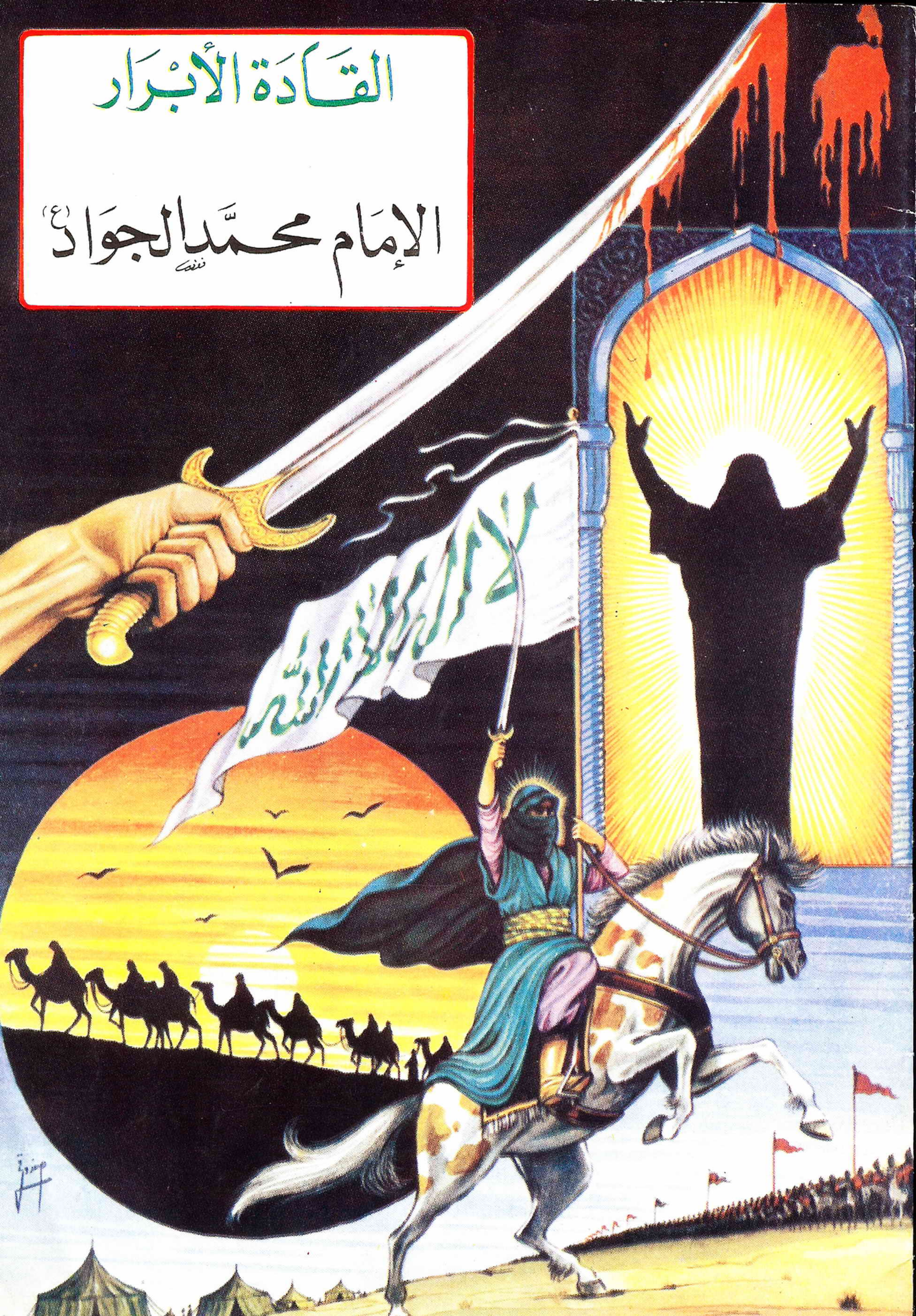

القادة الأبرار
الإمام محمد الجواد (ع)



الإمام محمد الجواد (ع)

القادة الأبرار

الإمام محمد الجواد (ع)

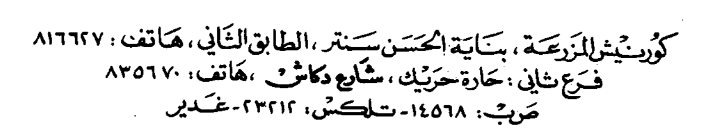
الدار الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م




كورنيش المزرعة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فرع ثاني: حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
ص.ب: ١٤٥٦٨ - تلكس: ٢٣٢١٢ - غدير

الإمام محمد الجواد (ع)

الاسم : الإمام محمد الجواد (ع)
اسم الأب : الإمام علي الرضا (ع)
اسم الأم : خيزران
تاريخ الولادة: ١٠ رجب سنة ١٩٥ للهجرة
محل الولادة : المدينة
تاريخ الاستشهاد: ٦ ذي الحجة سنة ٢٢٠ للهجرة
محل الاستشهاد: الكاظمية
محل الدفن : الكاظمية

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

المُواجَهةُ الأُولى

في يوم دَافئ ، وأَشِعَّةُ الشَّمسِ تتسلَّلُ بِـرِفقٍ عَبْرَ أَزِقَّةِ مدينةِ بَغْدادَ، وتَبدأُ انْتِشارَها فَوقَ السُّهولِ المُترامِيَةِ الأَطرافِ حَولَهـا، خَرجَ المـأمونُ العبّاسِيُّ معَ نَفَـرٍ مِنْ حاشِيَتِه للصَّيدِ، وقدْ امْتَطَوْا جِيادَهُم يُسابِقونَ بِها الرِّيحَ ، مُصطَحِبينَ صُقورَهُم وكِلابَهُم، قاصِدينَ السُّهولَ المُمتَدَّةَ حولَ المدينةِ.

بغـدادُ في تلكَ الأَيّامِ كـانتْ مَدينـةً كَبيـرةً جِـداً، تُحيطُ بِهـا مَـزارِعُ البُـرتُقـالِ وكُـرومُ العِـنَبِ وأَشجـارُ النَّخيلِ ، يُزَيِّنُها العُشبُ الأخضرُ والوُرودُ.

كانَ الموكبُ يَجتازُ شَوارعَ العاصِمةِ، مُثيراً الرُّعْبَ والذُّعرَ في قُلوبِ النّـاسِ . وَفي أحدِ الشَّـوارعِ صادَفَ مَجموعةً مِنَ الصِّبْيَةِ يَلعبونَ ويَتَـراكَضُونَ، ومـا إنْ شَعرَ الصِّبْيَـةُ باقْتِـراب خَيْلِ الحـاكِم حتّى هَـرَبُـوا في كُـلِّ

اتِّجاهٍ؛ وتِلكَ كانتْ صُورةَ الحُكّامِ المُرعِبَةَ، فَقدْ تركَ أسلافُ المأمونِ كالرَّشيدِ والمَنصورِ وهِشامٍ والحَجّاجِ بَصَماتِ البَطْشِ والإرهابِ في النُّفوسِ.

خَلَتْ السَّاحةُ من الأطفالِ، عدا طفلٍ مِنهُمْ، انْتصَبَ شامِخاً أَمامَ المَوكِبِ غَيْرَ آبِهٍ بهِ، مِمّا أَثارَ دَهْشَةَ المأمونِ، فَأمَرَ بإحضارِ الصَّبيِّ إليهِ، وخَاطبُه قائلاً: لِماذا لَمْ تَهْرُبْ معَ الصِّبيةِ الآخَرينَ؟ قالَ الصَّبيُّ: مَا لي ذَنْبٌ فَأفِرَّ مِنهُ، ولا الطَّريقُ ضَيِّقٌ فأُوَسِّعَهُ عَليكَ، فَسِرْ حَيثُ شِئْتَ.

قال المأمونُ مُتعجِّباً من جُرأَةِ الغُلامِ: مَنْ تكونُ أَنتَ؟

قالَ: أنا مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ مُوسى بنِ جَعفَرِ بنِ محمَّدِ بن عليٍّ بنِ الحُسَينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليهِمْ السَّلامُ.

قالَ المأمونُ: ما تَعرِفُ مِنَ العُلومِ؟

قالَ: سَلْني عن أَخبارِ السَّماواتِ.

(لَقد سَألَ المأمونُ الغُلامَ الصَّغيرَ عمَّا يَعرِفُهُ منَ العُلومِ، والعُلومُ لا يَعرِفُها إلاّ مَنْ دَرسَها، وقَضى السِّنينَ في تَعَلُّمِها، فكيفَ يَسألُ عنها غُلاماً صَغيراً؟!

والجوابُ أنَّ المأمونَ يَعلَمُ ذلكَ، لكِنَّهُ بَعْدَ أنْ

عَرَفَ أنَّ الغُلامَ هوَ ابنُ الإمامِ الرِّضا (ع)، وأنَّهُ فَرعٌ مِنَ الشَّجرةِ المُباركَةِ، شَجرَةِ أهلِ البيتِ عليهِمْ السَّلامُ، الَّذينَ يَتَوارثُونَ العُلومَ والمعَارِفَ، كُلًّا عَمَّنْ سَبقَهُ، سَألَهُ هَذا السُّؤالَ الطَّبيعِيَّ).

تركَ المأمونُ الإمامَ مُبتَعِداً نحوَ السُّهولِ ، وهُوَ غارقٌ في التَّفكيرِ بِأمرِ هذا الغُلامِ ، ومَضى النَّهارُ إلا أَقَلُّهُ، والمأمونُ لا يَجِدُ صَيْداً، فَأطلَقَ أحدَ صُقورِهِ يَبحَثُ عن طَريدَةٍ؛ حَلَّقَ الصَّقْرُ عالياً وَغابَ عنْ الأَنظارِ ساعةً، عادَ بَعدَها وهُوَ يَحمِلُ حَيَّةً بينَ مَخالِبِه، وأَلقاها أَمامَ المأمُونِ، أمَرَ المأمونُ بِوضْعِ الحَيَّةِ في صندوقٍ وقالَ لِأَصْحابِهِ: قَدْ دَنا حَتْفُ ذلكَ الغُلامِ في هَذا اليومِ ، وعلى يَدَيَّ. ثُمَّ عادَ أدراجَهُ نَحوَ بَغدادَ.

وَفي طريقِ عَوْدتِه، التَقى بِالصِّبيَةِ أنفُسِهِمْ وابنُ الرِّضا بينَهُم، فاقْتَرَبَ منهُ قائِلاً (وَكأنَّما يُتابِعُ مَعَهُ حَدِيثَ الصَّباحِ):

وَما عِندَكَ منْ أَخبارِ السَّماواتِ؟

أجابَ الإمامُ قائِلاً: حَدَّثَني أبي عنْ آبائِه، عنْ النَّبيِّ ، عَنْ جِبرائيلَ، عنْ ربِّ العالَمينَ أنَّهُ قالَ: بينَ السَّماءِ والهَواءِ عَجاجٌ (والعَجاجُ هُوَ الغُبارُ أو الدُّخانُ)

يَتلاطَمُ بِهِ الأمواجُ. فيهِ حَيّاتٌ خُضْرُ البُطونِ، رُقْطُ الظُّهورِ (لونُها مُبَقَّعٌ بالبَياضِ والسَّوادِ)، يَصِيدُها الملوكُ بالبُزاةِ الشُّهْبِ، لِيَمتَحِنُوا بِهِ العُلَماءَ..

فَقالَ المأمونُ: صَدَقْتَ، وصدَقَ أبوكَ، وصدقَ جَدُّكَ، وصدَقَ ربُّكَ.

كانَ هذا هوَ اللِّقاءُ الأوَّلُ بينَ الإمامِ والمأمونِ، وتَوالَتْ اللِّقاءاتُ، وتَعرَّفَ المأمونُ أكثرَ وأكثرَ على مَناقِبِ الإمامِ العالِيَةِ، وَضُلوعِهِ بالعلمِ والمَعرِفَةِ، وصَمَّمَ أنْ يُزَوِّجَه ابْنَتَهُ.

اعتِراضُ العبّاسِيّينَ:

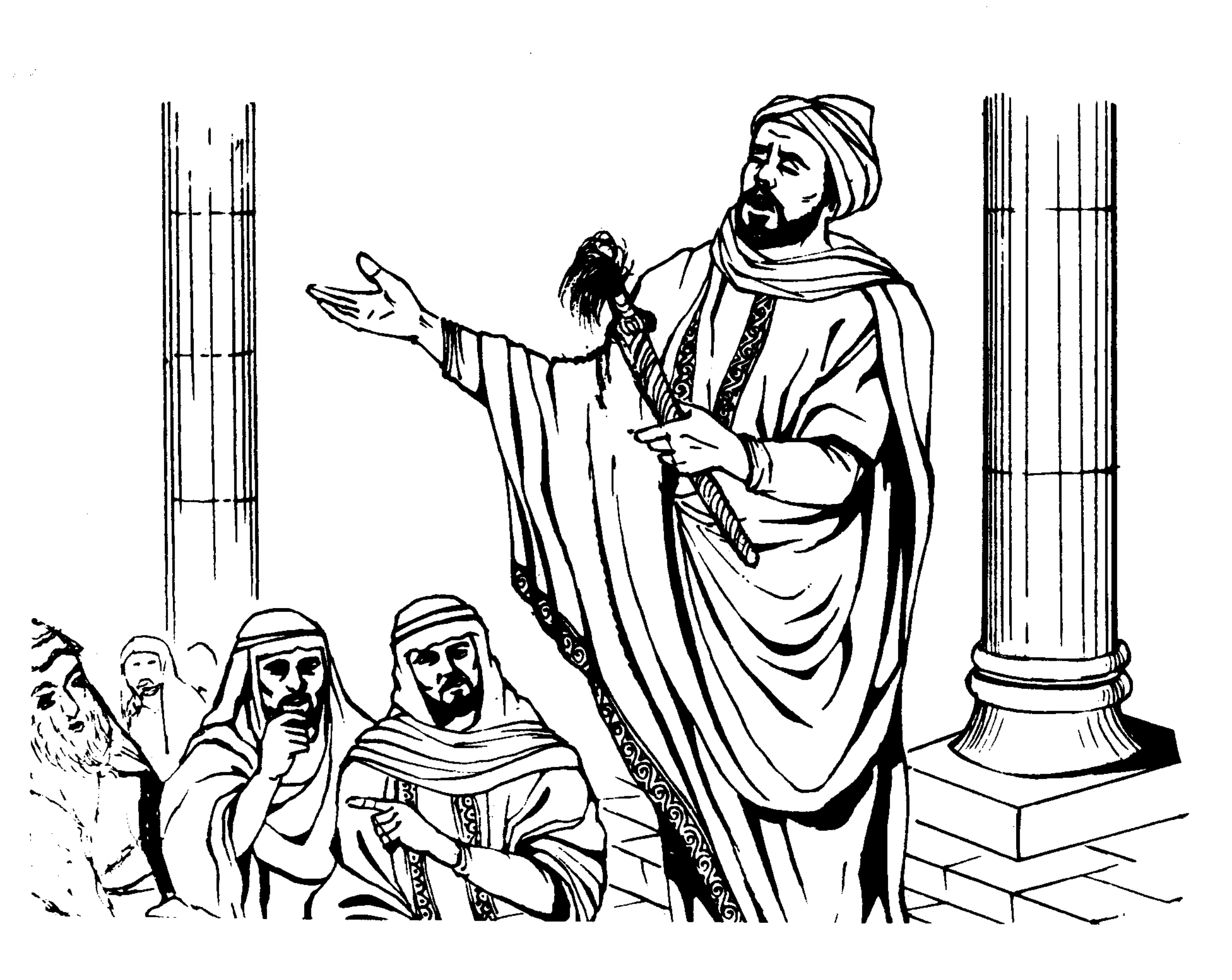
كانَ المأمونُ يَرمِي منْ تَزويجِ ابْنتِه مِنَ الإمامِ الجَوادِ (ع)، إلى اكْتِسابِ رِضَى السّادةِ العَلَوِيّينَ، وإزالَةِ ذِكرى الموتِ المُفاجِئ لِلإمامِ الرِّضا عليهِ السَّلامُ مِنَ الخَواطِرِ، مُدَّعِياً الصَّفاءَ مَعهُمْ، كَما يرمِي منْ جِهَةٍ ثانيةٍ إلى أنْ يكونَ الإمامُ الجَوادُ على مَقْرُبَةٍ منهُ، لِيَتمكَّنَ منْ مُراقَبَتِهِ بِواسطَةِ عُيونِه وجَواسِيسِهِ، ومَعرِفَةِ تَحرُّكاتِهِ واتِّصالاتِه، وقد سَبَقَ للمأمونِ أنْ اتَّبَعَ الأُسلوبَ نفسَهُ مع الإمامِ الرِّضا عليهِ السَّلامُ.

وَلمّا عَلِمَ العَبّاسِيّونَ بِالأمرِ، ثَقُلَ عَليهِمْ

واسْتَكْبَرُوهُ، وخافُوا أنْ يَنْتهيَ الأمرُ مَعَ الجوادِ إلى ما انتهَى إليهِ معَ أبيهِ الرِّضا، فيَفوزَ بوِلايَةِ عَهْدِ المأمونِ.

اجتمعَ نَفَرٌ منهُمْ إلى المأمونِ قائِلينَ: نَنْشُدُكَ اللهَ يا أميرَ المُؤمنينَ أنْ تَصْرِفَ النَّظَرَ عنْ هذا الأمْرِ الّذي عزَمْتَ عليهِ منْ تزويجِ ابنِ الرّضا؛ فإنّا نَخافُ أنْ تُخْرِجَ عنّا أمراً قدَ مَلَكْناهُ، وتَنْزِعَ عنّا عِزّاً قَدْ أُلبِسْناهُ، فقدْ عَرَفْتَ ما بَيننَا وبينَ هؤلاءِ القومِ آلِ عَليٍّ قَديماً وحَديثاً، وما كانَ عليهِ الخُلفَاءُ الرّاشِدونَ قبلَكَ معَهمْ، وقَدْ كُنّا في وَهْلَةٍ (فَزَعٍ) منْ عَمَلِكَ معَ الرِّضا ما عَمِلْتَ، حتّى كَفانا اللهُ المُهِمَّ منْ ذلكَ. فاللهَ اللهَ أنْ تَرُدَّنا إلى غَمٍّ انْحَسَرَ عنّا (زالَ عنّا)، فاصْرِف رأيَكَ عنْ ابنِ الرِّضا، وَاعْدِلْ إلى مَنْ تَراهُ مِنْ أهلِ بَيتكَ يَصْلُحُ لها دُونَ غَيرِهمْ..

فأجابَهمْ المأمونُ: أمّا ما كانَ بينَكُمْ وبينَ آلِ أبي طالب، فأنْتُمْ السَّبَبُ فيهِ، ولوْ أنصفْتُم القَوْمَ لَكانُوا أوْلى بِكُمْ. وأمّا ما كانَ يَفعلُه مَنْ قَبْلي بِهمْ، فقدْ كانَ قاطِعاً للرَّحِمِ، وأعوذُ باللهِ منْ ذَلكَ.. وأمّا أبو جعفرٍ محمدُ (الجوادُ) بنُ عليٍّ فقدْ اخْتَرْتُهُ لتَبريزِهِ (تَفَوُّقِهِ) على كَافَّةِ أهلِ الفَضلِ في العلمِ، مَعَ صِغَرِ سِنِهِ.. وأنا



أَرجُو أنْ يَظْهَر للنّاسِ ما قَدْ عَرفْتُهُ مِنْهُ، لِيَعلَموا أَنَّ الرَّأيَ ما رأَيْتُ فيهِ.

فَقالُوا: أَتُزَوِّجُ ابْنَتكَ وقُرَّةَ عَيْنِكَ صَبِياً لم يَتَفَقَّهْ في دينِ اللهِ، وَلم يعرفْ حَلالَهُ من حَرامِهِ، وَلا فَرْضَهُ من سُنَنِهِ؟! فَأَمْهِلْهُ لِيتَأَدَّبَ وَيقرأَ القُرآنَ ويَتفقَّهَ في الدِّينِ، ثُمَّ اصْنَعْ ما تَراهُ بعدَ ذَلكَ..

فقالَ لَهمْ: وَيْحَكُمْ، إنّي أعْرَفُ بِهذا الفَتى مِنْكُمْ، وإنَّه لأَفْقَهُ مِنكُمْ... وإنْ شِئْتُم فامْتَحِنوهُ، فإنْ كانَ كَما وَصَفْتُمْ قَبِلْتُ مِنكُمْ.

فَقالُوا: لَقدْ رَضِينا لكَ ولِأَنْفُسِنا بِامْتِحانِه؛ فَخَلِّ بَينَنا وبَيْنَهُ، لِنُعَيِّنَ منْ يَسأَلُه بِحضْرَتِكَ عن شَيْءٍ مِنْ فِقْهِ الشَّريعَةِ، فإنْ أصابَ الجَوابَ لمْ يَكُنْ لَنا اعْتِراضٌ، وإنْ عَجِزَ عن ذَلكَ فقدْ كُفِينَا أَمْرَهُ.

قَبِلَ المأمونُ، وعَيَّنَ لَهمْ يَوماً لِذَلِكَ..

ثُمَّ اجتمعَ رَأيُهُمْ على يَحيى بْنِ أَكْثَمَ، قاضِي القُضاةِ يومَذاكَ، على أنْ يَسأَلَ الإمامَ مسألةً لا يَعرِفُ الجَوابَ عنْها، ووَعدُوه بأَموالٍ وَفيرةٍ إنْ هُوَ اسْتَطاعَ ذَلكَ.

وفي اليـومِ الّذي عَيَّنَهُ المـأمـونُ، حَضـر الإمـامُ وقَاضي القُضاةِ والمأمونُ، كمـا حضَر كِبـارُ العَبّاسيّينَ، وأعيـانُ الـدَّولـةِ، وجلَسَ النّـاسُ على مَـراتِبِهمْ، بينَمـا أجلسَ المأمونُ الإمامَ الجَوادَ إلى جانِبِه.

مِنْ الجديرِ بِالذِّكْرِ أنَّ تلكَ المَجالِسَ الفَخْمَـةَ الّتي كـانَ العبّاسِيّون يُقيمُونَهـا مِنْ وَقتٍ إلى آخَرَ، لمْ تكنْ بالنِّسبَةِ إليهم إلاّ مَجالِسَ تَرَفٍ وَلَهْوٍ، ولمْ تكنْ تُعْقَدُ بِناءً على التَّعاليمِ الإسلامِيَّةِ التّي تُراعي أُصولَ التَّساوي بينَ النّاسِ ، وَلَمْ يَسيرُوا فيها على خُطَى الرَّسولِ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ، وخُطَى الإمامِ عَليٍّ عليهِ السَّلامُ، في جَعْلها مَجالِسَ للمُذاكَرةِ في تَعاليمِ الإسـلامِ وأحكامِـه، مِمّا يَعودُ بالفائدةِ على الجميعِ ، بلْ كانتْ مَجالِسَ للمُناظَرةِ وَالمُبارَزةِ الكلاميَّـةِ وإلقـاءِ الأشعـارِ والخُطَبِ. فَحُضـورُ الإمـامِ في هـذا المَجلسِ لم يكنْ حُضـورَ مُشـارِكٍ أو حتّى ضَيفٍ، بـلْ كانَ - في الـواقـعِ - حضُـوراً قَهْـرِيّـاً إجبارِيّاً لا يَستَطيعُ مِنهُ فَكاكاً. .

وعلى أيِّ حالٍ ، فقد جلسَ الإمامُ في مَكانٍ فَخم مُـزَيَّن إلى جانبِ المـأمونِ، كَمـا جَلَسَ النَّبيُّ يـوسُفُ

ـ منْ قَبْـلُ ـ إلى جـانِبِ فِـرعـوْنِ مِصْــرَ. وَفي قِصصِ الأنبياءِ دُروسٌ لِلنّاسِ ، تُبَيِّنُ لهمْ الحَقائِقَ الكامِنَـةَ وراءَ الأحداثِ التّاريخيَّةِ المُختلفةِ باخْتِلافِ الأَزْمانِ، فَها هُوَ يُوسُفُ النَّبيُّ، يَجلِسُ إلى جِوارِ فِرعَوْنِ مِصْـرَ ويُديـرُ لهُ شُؤونَ دَولَتِهِ، وَفي يومٍ آخَرَ، يَقومُ نبيٌّ آخَرُ هو مُـوسَى عليهِ السَّلامُ، ضِدَّ فِرعَوْنَ آخَرَ، فَيهزِمُهُ ويَقضي عليـهِ. ولكنَّ الكَثيـرينَ لا يُفكِّـرونَ في أحــداثِ التّاريــخِ ، ويَعجَزُونَ عن فَهْمِهـا وإدراكِ مَغــزاهـا. تَقــولُ الآيـةُ الشَّريفَةُ:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾.

ســادَ المجلسَ صمتٌ مُـطبقٌ، والكُـلُّ يَتـطَلَّعُ إلى رُؤيَةِ الإمامِ الجَوادِ، هَذا القـادِمِ الجديـدِ إلى بَغدادَ، والَّـذي لم تَقَـعْ عليـهِ أَعينُ النّـاسِ منْ قَبْـلُ، ورُؤيَـةِ مَقْدِرَتِهِ، وهُوَ ابنُ تِسعِ سِنينَ، في مُواجَهةِ قاضي قُضاةِ بَغدادَ، ويَتساءَلون: هلْ في مَقدورِ حَفيدِ رَسولِ اللهِ أَنْ يَصمِدَ أَمامَ أَسئلةِ هَذا العَالِمِ الكَبيرِ؟!

قــطعَ القَــاضِي يَحيى بنُ أكْثَمَ حَبــلَ الصَّمتِ، والتَفتَ إلى المأمونِ قائلاً:

أيأذَنُ لي أَميرُ المُؤمنينَ بأَنْ أُوَجِّـه سُؤالاً إلى أبي

جَعفرِ بْنِ الرِّضا؟

أجابَ المأمونُ: عليكَ أنْ تأخُذَ الإذْنَ مِنهُ. .

التفتَ يَحيى بنُ أكثمَ إلى الإمامِ الجَواد قائلاً: «أتأذنُ لي - جُعِلْتُ فِداكَ - في مَسْألةٍ؟ فقالَ لهُ أبو جَعفَرٍ: سَلْ إنْ شِئْتَ. قالَ يَحيى: ماذا تَقولُ في مُحْرِمٍ قَتلَ صَيْداً؟ أجابَ الإمامُ:

قَتلهُ في حِلٍّ أوْ حَرَمٍ؟ عَالِماً كانَ المُحرِمُ أمْ جَاهِلاً؟ قَتلَهُ عَمْداً أوْ خَطَأً؟ حُرّاً كانَ أمْ عَبْداً؟ صَغيراً كَانَ أوْ كَبيراً؟ مُبْتَدِئاً بِالقَتْلِ أمْ مُعِيداً؟ مِنْ ذَواتِ الطَّيرِ كانَ الصَّيْدُ أمْ مِنْ غَيرِهَا؟ مِنْ صِغَارِ الصَّيدِ أمْ مِنْ كِبَارِهِ؟ مُصِرّاً عَلى مَا فَعلَ أمْ نَادِماً؟ في اللّيلِ كَانَ قَتْلُهُ لِلصَّيْدِ في أوْكارِهِ أمْ نَهاراً؟ مُحْرِماً كَانَ بِالعُمْرَةِ إذْ قَتَلَهُ، أوْ بِالحَجِّ كَانَ مُحْرِماً؟

فَتَحيَّرَ يَحيى بنُ أكثمَ، وبانَ في وجهِهِ العَجْزُ والانْقِطاعُ، وتَلَجْلَجَ حتّى عَرفَ أهلُ المَجلسِ أمْرَهُ».

لم يكنْ يَحيى بنُ أكثمَ قَدْ سَمِعَ - حتّى يَومِهِ ذاكَ - بِأكْثَرِ مِنْ وجْهٍ واحِدٍ للمُحْرِمِ الّذي يَقتُلُ صَيْداً، ولَمْ يعرفْ لِذلكَ سِوى حُكْمٍ واحِدٍ، ويُفاجَأ الآنَ بأنَّ سُؤالاً قَصيراً واحِداً يَحتاجُ - في الإجابَةِ عليهِ - إلى كُلِّ



ذلكَ التَّفصيلِ الكَبيرِ . .

تَحيَّـر يحيي بنُ أكثمَ، وتحيَّرَ معـهُ كُلُّ مَنْ حَضـرَ المَجلِسَ، وأدْركُوا بِأنَّ الإمامَ الجَوادَ عليهِ السَّلامُ بَحرٌ مِنَ العِلمِ والمَعـرفَةِ؛ فقـدْ أعـطاهُمْ ـ على صِغَـرِ سِنِّـهِ ـ دَرْسـاً في الأحكـامِ ، وهـوَ أنَّ الحُكمَ في كُـلِّ مَسألةٍ يَختَلِفُ باخْتِلافِ ظُروفِها ومُلابَسَاتِها.

ويُـروى أنَّ المأمـونَ طَلبَ مِنَ الإمـامِ أنْ يَسـألَ يَحيى بنَ أكثمَ كَمـا سألَهُ، فأجابَـهُ الإمامُ إلى طَلَبِـهِ، وسألَ القاضِيَ سُؤالاً لم يَعرِفْ الإجابةَ عليـهِ، وقـالَ: واللهِ لا أهْتَدي لِجَوابِكَ، ولا أعرِفُ الوَجْهَ في ذَلـكَ، فـإنْ رَأيْتَ أنْ تُفيدَنـا. فاسْتَجـابَ الإمامُ إلى رَغبَتِـهِ، وأعطاهُ جَوابَ المَسألةِ . .

عند ذاكَ، أقبلَ المأمونُ على مَنْ حَضَرهُ مِنْ أهلِ بَيتِه قَائلاً: وَيْحَكُمْ، إنَّ أهلَ هذا البيتِ خُصُّوا منْ بينِ الخَلْقِ بِما تَرَوْنَ مِنَ الفَضْلِ ، وَإنَّ صِغرَ السِّنِّ فيهِم لا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الكَمالِ ، أمَا عَلِمْتُم أنَّ رسـولَ اللهِ (ص) افْتَتَحَ دَعْوَتَهُ بِدُعـاءِ أميرِ المُؤمنينَ عليٍّ بنِ أبي طـالبٍ عليهِ السَّلامُ، وهوَ ابْنُ عَشْرِ سِنينَ. وقبِلَ الإسْلامَ مِنهُ، ولمْ يَدْعُ أحَداً في سِنِهِ غَيْرَهُ؟ أفَلا تَعلَمونَ الآنَ ما خَصَّ

اللهُ بـهِ هَؤلاءِ القومَ، وأنَّهُمْ ذُرِّيَّـةٌ بَعضُهـا مِنْ بَعضٍ، يَجرِي لِآخِرهِمْ ما يَجرِي لِأَوَّلِهِم؟ فَقالُوا: صَـدَقْتَ يا أميرَ المُؤمِنينَ، إنَّ ما تَراهُ هُوَ الصَّوابُ.

زَواجٌ سِياسِيٌّ:

سُرَّ المأمونُ لِخُروجِهِ مِنَ المُراهَنَـةِ مُنتَصِراً، ورَأى أن يَستَغِلَّ الفُرصَةَ المُتاحَةَ، فالْتَفتَ نحوَ الإمامِ قائِلاً:

يا بَقِيَّةَ الرَّسولِ صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ، لَقَـد عَلِمتُ فضلَكَ ومَنْـزِلَتَـكَ، واخْتَـرْتُـكَ زَوجـاً لابْنَتي «أُمِّ الفَضْـلِ»، وإِنّي - رَغْمَ مُعـارَضَـةِ الكثيـرينَ لِهـذا الزَّواجِ - أَطلُبُ مِنكَ القَبُولَ.

تَرَدَّدَ الإمامُ؛ فهوَ يَعرِفُ تَماماً ما يَرمي إليهِ المأمونُ مِنْ هـذِهِ المُصاهَـرَةِ، ويُـدرِكُ الأهـدافَ الَّـتي تَكمُنُ وراءَهـا، فهيَ لَيْسَتْ في الواقِـعِ إلاّ زَواجاً سِيـاسِيّاً، يُحقِّقُ لِلمـأمونِ أَغـراضَهُ في تَهْـدِئَةِ وإِرضَـاءِ العَلَوِيّينَ وَفي جَعْلِ الإمامِ الجَوادِ قَريباً مِنهُ وتحتَ مُراقَبَتِه.

شَعرَ الإمامُ بالضِّيقِ، لكنَّهُ كانَ يُدرِكُ حرَجَ المَوقِفِ، فهـوَ لا يَستطيـعُ أنْ يَرفُضَ طلبَ المَـأمـونِ أمـامَ هـذا الجمْـعِ الكَبيرِ مِنْ أعيـانِ بَغدادَ، ورِجـالاتِ الـدَّولـةِ وقُوّادِها، ففي الرَّفْضِ إهانـةٌ عَظيمـةٌ للمأمـونِ، واللهُ

وحدَهُ يَعلمُ النَّتائِجَ . .

هُنا لمْ يجدْ الإمامُ بُدّاً منَ القَبولِ ، لكنَّهُ اشترَطَ أنْ يُحَدِّدَ لابنَةِ المأمونِ صَداقاً مُساوِياً لِصَداقِ جَدَّتِهِ الزَّهراءِ عليها السَّلامُ، وهُوَ خَمسُمِئَةِ دِرْهَمٍ . وَرَضِيَ المأمونُ . .

أقامَ المأمونُ بِهذهِ المُناسَبَةِ احْتِفالاً عَظيماً، هَيَّأَ له جَميعَ مَظاهِرِ الأُبَّهَةِ والجَلالِ ، وأمرَ الخدمَ والحَشمَ بارْتِداءِ المَلابسِ الفاخِرةِ، ورَاحُوا يَستقْبِلونَ الضُّيوفَ ويُوَزِّعونَ عَليهِمْ الهَدايا الثَّمينَةَ؛ ثُمَّ فُرِشَتْ المَوائِدُ الحافِلةُ بأفخرِ الطّعامِ ، وأكلَ النّاسُ.

بَقِيَ الإمامُ يَكتُمُ سُخطَهُ من هذهِ المُصاهَرَةِ، ومِنَ الأَعباءِ التي خلَّفَتْها لهُ، وأحَسَّ بِتَسَلُّطِ المأمونِ عليهِ، وكمْ كانَ يَتمنّى لو بقيَ في المدينةِ. . فَهوَ يُدرِكُ أنَّ الّذي فعلَ بالإمامِ الرِّضا عليهِ السَّلامُ، مِنْ صُنوفِ المَكْرِ والتَّآمُرِ ما فَعلَ، حتّى لقد اغْتالَهُ أَخيراً بِأُسْلوبٍ جَبانٍ غادِرٍ، هُوَ نفسُهُ المأمونُ الّذي يُصاهِرُهُ الآنَ، ولَعلَّهُ أصبحَ أكثَرَ إصْراراً على المُضِيِّ في خُطَطِهِ الماكِرةِ، الرّامِيةِ إلى اجْتِثاثِ أمْرِ الإمامةِ مِنَ الجُذورِ، ما دامَ يَرى فيها خَطَراً جدِّياً يَتَهدَّدُ وُجودَهُ ومُستقبَلَه في



الحُكْمِ . .فَكَّرَ الإمامُ بِكُلِّ هذا، لَكِنَّهُ لم يستطعْ حِيالَ الأمرِ شَيئاً غيرَ الصَّبرِ، وأسْلَمَ أمرَهُ للهِ سُبحانَهُ.

ودارتْ الأيّـامُ. . وكَبِـرَتْ « أمُّ الفَضْـلِ » وكَبِـرَ الإمامُ، وتَمَّ الزَّواجُ. .

عاشَ الإمامُ الجَوادُ عليهِ السَّلامُ في بَغدادَ مُدَّةٌ منَ الـزَّمنِ بَعْدَ زَواجِـهِ، وقـدْ حـاوَلَ المـأمـونُ جَـرَّهُ إلى المجَـالِسِ الَّتي يُقيمُها العَبّـاسِيّونَ، لكَنَّـهُ لم يَنْجَحْ، فَقد حَرِصَ الإمامُ على تَجَنُّبِها والابْتعادِ عَنْها ما وَسِعَهُ ذلكَ، وإذا صادَفَ حُضورُه بَعضَها، فقـد كانَ يَستَغِـلُّ وَجـودَهُ لإزْجاءِ النُّصْـحِ والمَوْعِـظَةِ الحَسَنةِ، ومُنـاظَرَةِ أصحـابِ الأفكارِ والعَقـائِدِ المُنحـرِفَـةِ، وكـانَتْ تلكَ الفتـرةُ ـ رَغمَ مَا تَخلَّلَهـا من مُضايقـاتٍ ـ فَتـرةً هـادِئـةً إجمالاً، انْصَرَفَ فيها عليهِ السَّلام إلى القيامِ بالإرشادِ والتّوجيهِ، إلى ما فيهِ صَلاحُ الإسلامِ والمُسلمينَ.

وقَبْلَ وفاةِ المأمونِ بعامٍ واحدٍ تَقريباً، خَرجَ الإمامُ من بَغدادَ تُرافِقهُ زَوجتُه قاصِدَيْنِ مكَّةَ لِلحَجِّ، وبعدَ أداءِ الحـجِّ تـوجَّـهَ إلى المـدينـةِ، وبقيَ فيهـا حتى وفـاةِ المأمونِ، واستلامِ المُعتَصِمِ للحُكْمِ بَعدَهُ.

الإمامُ وَالمُعتَصِمُ

كانَ المعتصمُ أكثرَ ظُلماً وجَوْراً من أخيهِ المأمونِ، وكانَ يُكْثِرُ مِنَ اللَّهوِ والشُّربِ ورَحَلاتِ الصَّيدِ، لكنّهُ كانَ يَهابُ الإمامَ (ع)، ويَخشى تأثيرَهُ على النّاسِ، ومَا يَلمِسُه من احْترامِهم لهُ والْتفافِهمْ حَولَهُ، فأصَرَّ على اسْتِقدامِهِ ثانيةً إلى بَغدادَ، وذلكَ لِنفْسِ الأسبابِ الَّتي سَبقتْ مِنْ قَبْلُ.

خَلَّفَ الإمامُ في المدينةِ ابْنَهُ أبا الحسنِ عَليّاً الهاديَ عليهِما السَّلامُ، بعدَ أن أوصى لهُ بالإمامةِ من بعدِهِ، وتوجَّهَ إلى العراقِ. وكانَ المُعتصِمُ لمَّا يَزَلْ يَتَحيَّنُ الفُرَصَ للتَّخلُّصِ منهُ، يُساعِدُه في ذلكَ ابنُ أخيهِ جَعفرُ بنُ المأمونِ، ويعقوبُ بنُ داودَ كبيرُ فُقهاءِ القَصرِ، وغيرُهُما مِنَ الأعوانِ.

كانَ ابنُ داودَ يَحقِدُ على الإمامِ لأنَّهُ يَرى في وُجودِه تَحديداً لِنُفوذِه بينَ العامَّةِ، وتَهديداً لِمركَزِه لدى المُعتَصِمِ، وقد جَرتْ بينَهما مُناظراتٌ عِدَّة، كانَ ابنُ داودَ يَخرُجُ مِنها مُنْهَزِماً أمامَ قُوَّةِ الحقِّ والمَنطِقِ والصَّوابِ، وحدثَ مَرَّةً أنْ أُتِيَ بِسارقٍ إلى مجلسِ المُعتصمِ، فطلَبَ من الفُقهاءِ رأيَهُمْ في كَيْفِيَّةِ إقامَةِ

الحدِّ على السّارقِ، فأشارَ عليهِ ابنُ داودَ أنْ يَقطَعَ يَـدَهُ مِنَ الرُّسْغِ ، وأَقَرَّهُ على رأيِهِ أكْثَرُ العُلَماءِ، بَينَمـا أشارَ بَعضُهمْ بِقـطعِ يـدِ السّـارقِ منَ السّـاعِـدِ. هُنـا التفَتَ المُعتصِمُ إلى الإمامِ يَطلُبُ رأيَـهُ، فأشـارَ عليهِ بقـطعِ أصابعِ اليَدِ فَقط، لأنَّ قطعَ اليَدِ من الرّسْغِ يُزيلُ مَوْضِعاً من مَواضِعِ السُّجودِ السَّبعةِ، وهُوَ راحةُ اليَدِ.

أُعجِبَ المُعتصمُ بِرأيِ الإمامِ وأخَذَ بِهِ، مُتجاهِلاً آراءَ الفُقَهـاءِ الآخَـرينَ، فعَــظُمَ الأمـرُ على ابنِ داودَ، فَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ يُهمِلُ المُعتَصِمُ فَتواهُ ويَـأخذُ بِفَتـوى غيرِه، والإمـامُ هـوَ السَّببُ في ذلـكَ، فصـارَ يَتحيَّنُ الفُـرَصَ للإيقاعِ بـهِ، واسْتَطاعَ آخِـرَ الأَمرِ أن يُـوغِرَ عليـه صَدْرَ المُعتصِمِ ، ويُوقِظَ عندَهُ هاجِسَ الخَوْفِ على الحُكْمِ ، والخَوفِ منْ اتِّساعِ نُفوذِ العَلويّينَ، وذكَّرَهُ بما كانَ يَفعلُهُ أسلافُهُ من العَبّاسِيّينَ بِحقِّ أهلِ بيتِ الـرَّسولِ (ص). فَصمَّمَ المُعتصِمُ على الغَدْرِ بالإمـامِ ، وأقدَمَ على دَسِّ السُّمِّ لهُ في الطَّعامِ ، بالطَّريقَةِ الجَبانَةِ الغـادِرةِ نَفسِها، ويُقـالُ إنَّ أداتَهُ في فَعلَتِـه النكـراءِ تِلكَ، كـانَتْ زوجـةَ الإمامِ أمَّ الفضلِ ،نظَراً لما تُكِنُّهُ مِنْ حِقْدٍ على الإمامِ ، لِتَفضِيلِه أُمَّ الإمامِ الهادي علَيْهـا. وتُوُفِّيَ عليـهِ السَّلامُ



مُتَـأثِّراً بـالسُّمِّ في اليومِ السّـادسِ منْ ذي الحَجَّةِ سنـة ٢٢٠ للهجرةِ، وهوَ في رَيْعانِ شَبابِه، ودُفِنَ في الكاظِمِيَّةِ إلى جِوارِ جَدِّهِ الإمامِ الكاظمِ عليهِما السَّلامُ.

الأثَرُ الطَّيِّبُ

كـانتْ حياتُـهُ عليهِ السَّـلامُ صُورةً عن حَيـاةِ آبـائِـه الأطهارِ، عاشَها في أداءِ الرِّسـالةِ وتـأديةِ الأَمـانةِ، رَغمَ المَصاعبِ والشَّدائِد الّتي كانَتْ تُحيطُ بِهِ، وقدْ اجْتَمَـعَ حولَهُ النّاسُ، ورَوى عنهُ الـرُّواةُ عَشراتِ الأَحـاديثِ في مُختَلِفِ المَـواضيعِ . وأُثِـرَتْ عنهُ أَقـوالٌ تُعَـدُّ من أبلغِ الحِكَمِ والمَواعِظِ.

قالَ لهُ أحدُ أَصحابِه يَوماً: يا مَولايَ، إنّي لأَرجُو أنْ تكـونَ القائِمَ منْ آلِ بيتِ مُحمَّـدٍ، الّذي يَمـلأُ الأرضَ قِسْـطاً وعَـدْلاً، كَمـا مُلِئَتْ ظُلمـاً وَجَـوْراً، فقـالَ عليـهِ السَّلامِ :

مَا مِنّا إلا قائمٌ بِأمْرِ اللهِ، وهَادٍ إلى دينِ اللهِ، ولَكِنَّ القـائِمَ الّـذي يُـطَهِّـرُ اللهُ بـهِ الأرضَ مِنْ أَهْـلِ الكُفْـرِ والجُحودِ، ويَملأُ الأرضَ قِسْطاً وعَدْلاً، هُوَ الّذي تَخْفَى على النّاسِ وِلادَتُهُ، ويَغيبُ عنْهُمْ شَخْصُهُ، وهوَ الّـذي تُطوَى لَهُ الأَرضُ، ويَذِلُّ لهُ كُلُّ صَعب، يَجتمِعُ إليهِ من

أصحابه عِدَّةُ أَهْلِ بَدرٍ، ثلاثُمِئةٍ وثَلاثَـةَ عشرَ رجـلاً من أقاصي الأرضِ، وذَلِكَ قولُ اللهِ: ﴿ أَيْنَما تَكُونُوا يَـأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعَـاً، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ ﴾. فـإذا اجْتمعتْ لهُ هَذهِ العِدَّةُ مِنْ أَهلِ الإِخـلاصِ، أظهرَ اللهُ أَمرَهُ، وإذا كَمُلَ لهُ العَقْدُ وهوَ عَشَرةُ آلافِ رَجُلٍ، خرجَ بإِذْنِ اللهِ، فلا يَزالُ يَقْتُلُ أَعداءَ اللهِ، حتّى يَرضَى اللهُ.

ومِنَ الأقوالِ المأثورةِ عنهُ قولُهُ عليهِ السَّلامُ:

حَسبُ المرءِ من كَمالِ المُروءَةِ تَركُهُ ما لاَ يَجْمُـلُ بِهِ، ومِنْ حَيائِهِ أَنْ لا يَلقَى أَحداً بِما يَكْرَهُ. . ومِنْ سَخائِهِ بِرُهُ بِمَنْ يَجِبُ حَقُّهُ عَليهِ، وإِخراجُهُ حَقَّ اللهِ مِنْ مالِـهِ، ومِنْ إِسلامِهِ تَركُهُ ما لا يَعنِيهِ، وتَجَنُّبُهُ الجِدالَ والمِراءَ في دِينِـه، ومِنْ كَـرَمِـهِ إِيثـارُهُ على نَفْسِـهِ، ومِنْ صَبْـرِهِ قِلَّةُ شَكـواهُ، ومِنْ إِنْصافِـهِ قَبولُ الحَقِّ إذا بـانَ لـهُ. . ومِنْ شُكرِهِ مَعْرِفَةُ إِحسانِ مَنْ أَحسَنَ إِليهِ. . ومِنْ سَلامَتِهِ قِلَّةُ حِفْظِهِ لِعُيوبِ غَيْرِهِ، وعِنايَتُهُ بِإِصْلاحِ عُيُوبِهِ.

وقـالَ عليهِ السَّـلامُ: العامِـلُ بالـظُّلْمِ والمُعينُ لـهُ والرّاضِي بهِ شُركَاءُ.

وقالَ (ع) أيْضاً: منْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كانَ ما يُفْسِدُ أكْثَرَ مِمّا يُصْلِحُ، إِيّاكَ ومُصاحَبَةَ الشِّرِّيرِ، فإِنَّـه كالسَّيفِ

المسْلولِ ، يَحْسُنُ مَنْظَرُهُ ويَقْبُحُ أَثَرُهُ. . . عِزُّ المُؤْمِنِ غِنَاهُ عَنْ النّاسِ .

وقد أحاطتْ كَلِماتُه عليهِ السَّلامُ بجميعِ الجَوانِب الّتي تَشُدُّ الإنسانَ إلى الخُلُقِ الكَريمِ ، والأَدَبِ الرفيعِ ، والسُّلوكِ القَويمِ ، وكُلِّ ما يَرفَعُ مِنْ شَأنِ الإنسانِ، ويُوَفِّرُ لهُ السَّعادَةَ، والكَرامَةَ، في دُنياهُ وآخِرَتِهِ.

لهذا ونحوِهِ، وَهَبَ الأَئمَّةُ من أهلِ البيتِ عليهِمْ السَّلامُ حَياتَهُمْ وَوُجُودَهُمْ، وتَحمَّلُوا في سبيلِ ذلكَ كُلَّ أنواعِ الظُّلْمِ والجَوْرِ والتَّشْرِيدِ، ورَحَلُوا عن دُنْيا النّاسِ بأَجسادِهِمْ، وظَلُّوا فيها أَحياءً بِسِيرَتِهِمْ وَمَبادِئِهِمْ وتَعاليمِهِم، الّتي تُلهِمُ الأَجْيالَ كُلَّ مَعاني الخيرِ والنُّبْلِ والفَضِيلَةِ، في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ.

* * *